

فالويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون ! لأنكم تغلقون في وجه الناس ملكوت السماوات ، فلا تدخلون انتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون ! لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا ولو دخيلاً واحداً ، وإذا ما حصل ، صيّرتموه ابن جهنم . يشهد التاريخ أن الفريسيين كانوا العائق الأكبر ، يوم كان يسوع وبعد صعوده إلى السماء ، في سبيل إيمان اليهود بالإنجيل . فهم المسئولون أمام الله ، ليس عن ابتعادهم الشخصي فحسب ، بل أيضاً عن ابتعاد الأمة التي كانوا قادتها الروحانيين .

3- أضف إلى ذلك التقاليد السخيفة التي تقتل روح الناموس وتعمي الضمائر ، فالويل لكم أيها القادة العميان ! من حلف بالهيكل فلا بأس . ومن حلف يذهب الهيكل ، فهو ملتزم . أيها الحمقى والعميان ! ما الأعظم : الذهب أم الهيكل الذي يقَدَس الذهب ؟ وأيضاً : من حلف بالمذبح ، فلا بأس ، وأما من حلف بالقربان الذي على المذبح ، فهو ملتزم . أيها العميان ! ما الأعظم : القربان أم المذبح الذي يقَدَس القربان ! ؟

4- ثم يرشق المعلم بالويل أولئك المرائين الذين يؤدون العشر من النعناع والشبث والكمون ، وقد أهملوا أثقل ما في الناموس : العدل والرحمة ، والأمانة ومحبة الله . فكان عليهم أن يعملوا بهذه من غير أن يهملوا تلك .

5- وأخيراً يفضح المعلم موقف قادة إسرائيل من الأنبياء . فما من نبي إلا قتلوه فاستحقوا بذلك اللعنة

للكتبة والفريسيين ، من روح هؤلاء ومسلكتهم . وهم أول من يحمل تبعه ما ستعرض له الأمة من ويلات انتقاماً لدم ابن الله . وما القسوة في كلامه إلا من لوعة على أمة تنبعت من وعي صميم لآمال الله فيها ومدى خيانتها لله .

وأول ما يستهل به كلمته إقرار باستقامة عقيدتهم وتعليمهم ، بقدر ما ينحصر هذا التعليم بالنص الموسوي . أما التقاليد التي حاكوها حول النصوص وقتلوا بها روح الشريعة ، فطالما قد رذلها المعلم وحذر منها : لقد جلس الكتبة والفريسيين على كرسي موسى ، فمهما قالوا لكم ، فاعملوا به واحفظوه ولكن لا تسلكوا بحسب أعمالهم ، فإنهم يقولون ولا يفعلون .

بعد هذا يتخلص يسوع إلى النقاط التي تؤلف الروح الفريسية ، وتتناهى مع الروح التي يريدتها هو لأتباعه :

1- السعي وراء مجد الناس ، فكل ما يفعله الفريسيون إنما يفعلونه لكي يبصرهم الناس : يعرضون عصائبهم ، يطولون أهدابهم ، يحبون المثكأ الأول في الولايم والمجالس الأولى في المجتمع ، والتحيات في الساحات ، وان يدعوهم الناس "رابي" . وأما انتم ، أي التلاميذ ، فلا تُدعون "رابي" ، فان معلمكم واحد ، وانتم جميعاً أخوة . ولا تدعوا أحداً على الأرض أباً ، فان أباكم واحد وهو الأب السماوي . ولا يدعكم أحداً مديريين ، لأن مديركم واحد ، وهو المسيح . والأكبر فيكم يكون لكم خادماً فمن رفع نفسه وُضع ، ومن وضع نفسه رُفع .

2- ثم الغيرة الكاذبة على الدين :